

# حضارة «ما قبل قسطل» (المجموعة أ) على النيل والصحراء الغربية

جامعة الخرطوم

د. أحمد إلياس حسين

## المستخلص:

يرى الباحثون مثل ماثياس لانج (Lane, 2003) وماريا جتو (Gatto, 2006) أن نتائج أبحاث الدراسات السابقة كانت ترى أنه ليس هنالك وجود لحضارة «ما قبل قسطل» (المجموعة أ) خارج منطقة النيل، إلا أن سلسلة من الأبحاث الحديثة أوضحت وجود آثار لحضارة ما قبل قسطل في المناطق الواقعة إلى الشرق والغرب من النيل. ويسعى هذا الموضوع إلى تسليط بعض الضوء على هذه القضية بالنظر إلى مناطق شرق وغرب النيل في الألف الخامس قبل الميلاد للتعرف على أوضاعها الحضارية وصلاتها بالنيل قبل ظهور حضارة ما «قبل قسطل»، ثم التعرف على آثار «ما قبل قسطل» خارج منطقة النيل وامتدادها وعلاقتها بغرب النيل. وإلى أي مدى تؤيد آثار «ما قبل قسطل» في إقليم لقيه فرضية ماثياس لانج التي تقول بظهور حضارة «ما قبل قسطل» في منطقية لقيه قبل ظهورها على النيل.

كلمات مفتاحية: النيل، المجموعة أ، ما قبل قسطل، لقيه، وادي سهل.

## Civilization of pre-Qustul (A-Group) on the Nile and on the Western Desert

Dr. Ahmed Elias Hussein

### Abstract :

Researchers such as Matthew Lang (2003) and Maria Gatto (2006b) stated that previous studies indicated there was no presence of a pre-Qustul (A-Group) civilization outside the Nile region. However, recent studies point to the presence of remains of pre-Qustul civilizations in the areas to the east and west of the Nile. This article seeks to address this issue by studying the regions east and west of the Nile in the fifth millennium BCE to learn about their cultural conditions and their relations with the Nile before the emergence of pre-Qustul civilization. The article also examines the expansion of pre-Qustul remains far from the Nile especially in the Laqiya region, and to what extent these remains support Mathew Lange's hypothesis – that the pre-Qustul civilization emerged in Laqiya region before its appearance on the Nile..

**Key words:** The Nile , A-Group , pre – Qustul, Laqiya, Wadi Sahal

## مقدمة:

يُورخ لظهور حضارة «ما قبل قسطل» على النيل بالألف الرابع قبل الميلاد، وأرى أن التعرف على الأوضاع الحضارية في الألف الخامس قبل الميلاد في منطقة الشلال الثاني - حيث ظهرت حضارة ما قبل قسطل على النيل - والمناطق الواقعة غرب وشرق النيل نين الشلال الأول ومنطقة دنقلة يساعد على التعرف على تلك الحضارة ومدى مساهمة هذه المناطق على ظهورها. وقد درست ماريا جتو (Gatto, 2002) العلاقات بين الثقافات المبكرة في الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد بمراجعة مجموعة كبيرة من الفخار الذي تم التعرف عليه في مناطق عديدة في مصر والسودان. شملت الدراسة في السودان مناطق صحراء العتباي والبطانة والقاش وأعلي نهر عطبرة في شرق النيل ومنطقة النيل بين الخرطوم وأسوان ومناطق لقية ووادي هور ونبتا والجلف الكبير في غرب النيل. وأوضحت «جتو» التشابه الكبير في أنواع الصناعات الفخارية في كل تلك المناطق مما يدل على التواصل المبكر بينها في الألف الخامس قبل الميلاد. Times New Roman Headings CS)). كما يرى لانج أنه يمكن إفتراض أن تداخل ثقافات المنطقة الواقعة بين مناطق النيل ومناطق نبتا يلايا ووادي هور في الألف الخامس قبل الميلاد قد أدى إلى دخول المنطقة في حقبة جديدة تختلف عن الحقبة السابقة في صناعة الفخار وسبل كسب العيش. (Lange, 2006, p 109)

فالألف الخامس قبل الميلاد كما إتضح من أبحاث جتو (2002) ولانج (2006) يمثل تواصلًا وتداخلًا وتطورًا ووضحا لثقافة إقليمية إمتدت بين منطقة القاش شرقًا وصحراء غرب النيل ووادي هور شرقًا. وقد اتضح ثراء ثقافات تلك المناطق من خلال تنوع صناعاتها الفخارية والسماط المشتركة بينها مما يشير إلى الأعداد الكبيرة لسكان المستوطنات وتطور أمط غذائها ونظمها الإجتماعية. وقد تولدت حضارة ما قبل قسطل في هذا الإطار الإقليمي. فقد تطورت ثقافة أبكان في منطقة الشلال الثاني وبطن الحجر في الألف الخامس ق م، وشمل إمتدادها الجغرافي مناطق واسعة جنوب الشلال الثاني حتى مناطق صاي ودنقلة وربما وصلت إلى منطقة كدروكا شمال الشلال السادس. كما يوجد قسم من ثقافة أبكان في منطقة لقية (Gatto, 2002, p 15 - 16) وتعتبر ثقافة أبكان تطورًا ثقافيًا إقليميًا ينتمي إلى مجموعة ثقافية واسعة في وسط حوض النيل. ويبدو وجود ثقافة أبكان مؤكداً بمنطقة العتباي في الصحراء الشرقية، فتاريخ ثقافات بعض المواقع الأثرية القديمة المنتشرة على طول وادي العلاقي يرجع إلى الألف الخامس قبل الميلاد. وترى جتو أن الشك لا يزال يدور حول تبعية مقابر وادي «إيلي» Elei « في أعلى وادي العلاقي لثقافة أبكان. (Gatto, 2000, p 17;

Gatto, 2006, p224, a; Lange, 2006, p 109, b; Nordstrom and Lange; 299 - 301

كما شهد الألف الخامس قبل الميلاد تداخل ثقافي إقليمي واسع شمل مناطق القاش وأعلي نهر عطبرة ومنطقة م بين الشلال السادس والثاني ومناطق وادي هور والجلف الكبير. (Gatto, 2002, p 9) وهكذا كان الألف الخامس قبل الميلاد يمثل تواصلًا وتداخلًا ووضحا في الثقافات السودانية المبكرة بين منطقة القاش شرقًا وصحراء غرب النيل حتى الحدود الليبية والتشادية ووادي هور غربًا. ونتج عن تلك الصلات تحركات واختلاط السكان تلاقح الثقافات. وقد أدت تلك التحركات السكانية الناتجة عن التغيرات المناخية إلى تطور الثقافات الإقليمية على النيل والمناطق الواقعة شرقه وغربه، وتم التواصل والتفاعل بين تلك الثقافات في الألف الخامس قبل الميلاد مما أدى إلى إفتراض أن أصل فخار ثقافة أصحاب «ما قبل قسطل»

على النيل يعود إلى الصحراء الغربية (Rampersad, p, 373) ولو أخذنا بكل ذلك يمكن القول بأن المكون البشري لأصحاب ثقافة «ما قبل قسطل» خليط من سكان النيل والعناصر التي دخلت عليهم من مناطق غرب النيل بصورة رئيسة إلى جانب ما دخل المنطقة من شرق النيل. ويدعم هذا رأي الباحثين الذين رأوا ضرورة مراجعة رأي رابنزر الذي جعل سكان «ما قبل قسطل» يرجعون إلى هجرة في اتجاه الجنوب من مستوطنين مصريين إلى أرض لم تكن مأهولة.

### التعرف على حضارة «ما قبل قسطل» على النيل:

عرفت حضارة «ما قبل قسطل» بصورة رئيسة في الآثار التي تم التنقيب عنها في مشروعات مسح آثار النوبة بين عامي 1907 - 1969م. تم المسح الأول بين عامي 1907 - 1911م (4 مواسم كشفية) والمسح الآثاري الثاني بين عامي 1929 - 1934 (5 مواسم كشفية) والمسح الثالث بين عامي 1959 - 1969 (10 سنوات) (آدمز، 2020 ص 165 - 171)

فكل المعلومات المتوفرة عن ثقافة «ما قبل قسطل» على النيل تم جمعها في 19 موسم كسفي فقط. وتعتبر هذه المدة وعدد المواقع التي تم الكشف عنها قليلة جداً لمساحة واسعة إمتدت بين الشلالين الأول والثاني. ويكفي أن نشير على سبيل المثال أن نذكر أن شارل بونيه السويسري وفريقه ظلوا ينقبون ويدرسون آثار منطقة كرمة لمدة خمسين سنة. ورغم ظهور نتائج أبحاثهم في الكتاب الذي نشرته جامعة هارفارد عام 2019 "Nile the of kingdom Black The" إلا أن أعمال البحث لم تنته بعد. ولذلك فإن ما تم الكشف عنه من آثار حضارة «ما قبل قسطل» يعتبر في غاية القلة والنقصان، ولا توفر المادة التي تم الكشف عنها المعلومات الكافية للتعرف على أصحاب «ما قبل قسطل» بصورة كاملة ولا تمكن من التوصل إلى نتائج نهائية فيما يتعلق بها. فالمستوطنات التي تم الكشف عنها على النيل قليلة، ونتائج بعض مواقعها لم تنشر بعد بالتفصيل. (William, 2011 p 83) ومعظم مقابر «ما قبل قسطل» المبكرة غير جيدة الحفظ حيث وجدت الجثامين في بعضها ملقاة على الرمال مما يرجح وجود الكثير من من المقابر المبكرة المفقودة. (Gatto, 2006, p 224, a

هذا إلى جانب إمتداد القرى ومواقع السكن على المناطق الأثرية مما أدى إلى ضياع عدد من المواقع. كما أدى توزيع المادة الأثرية المكتشفة المتعلقة بثقافة «ما قبل قسطل» على عدد من المتاحف الغربية وضياع بعضها إلى فقدان بعض المعلومات عن تلك الثقافة. ولذلك فإن ثقافة «ما قبل قسطل» ناقصة المواد والكشوف. (Bruce, 2006, p 178, Gatto, 2006, a, p 223) ونسبة لضيق وقت فترات الكشوف لم يتم تنقيب المواقع التي تم الكشف عنها بإتقان. فقد كان التنقيب وتدوين الأماكن عملية عرضية وثنائية في أغلب الأمر. وعبر فيرث مرة أو مرتين - كما نقل آدمز - عن أسفه من أن ضيق الوقت لم يكن يسمح لفرقه الميدانية بأن تفحص بعض المدائن الخربة التي لاحظوها على إمتداد الطريق. (آدمز ص 89) ثم اختفت آثار ما قبل قسطل» بين الشلالين الأول والثاني بعد عام 1969 تحت مياه بحيرة النوبة.

### حضارة «ما قبل قسطل» على النيل ومصطلح «المجموعة أ»:

أطلق عالم الآثار الأمريكي جورج اندرو ريزنر في العقد الأول من القرن العشرين مصطلح «المجموعة A-Group» للدلالة على المواد الأثرية التي عثر عليها في منطقة الشلال الأول. وقد تعرف ريزنر من خلال

هذه المواد على أربعة مراحل ثقافية لا يوجد لها نظير في الثقافات المصرية. وإعتقد راينزر أن تلك الثقافات نتجت عن سلسلة تحركات سكانية لأقوام مختلفين غير مترابطين دخلوا المنطقة من مصر، ورأى أنه لو وجدت أي صورة ترابط في تلك الآثار فهي مصرية الأصل وليست صوراً محلية. ولما كانت هذه الثقافات ليست مصرية ولا تتوفر معلومات عن أصحابها في ذلك الوقت عرفها راينزر بالحروف الهجائية A, B, C and X (أ، ب، ج، س) (Adams, 1977, p 4) وإذا كان سبب إطلاق هذه الحروف الهجائية علماً على تلك الثقافات مطلع القرن العشرين باعتبارها ثقافات غير محلية ولا توجد معلومات عنها له ما يبرره، فإن استخدام هذه المصطلحات بعد مضي أكثر من مائة عام ليس له ما يبرره. فأصحاب تلك الحضارة - رغم إختفاء معظم آثارهم تحت مياه بحيرة النوبة - قد ظهر الكثير من معالم تاريخهم وأصبح معروفاً بدراسة ما تم إنقاذه من آثار.

فقد أدت أعمال سمث وشتايندروف بين عامي 1912-1937م إلى وضوح السمات المميزة لتلك الثقافات. وأدت حملة إنقاذ آثار النوبة في مناطق وادي حلفا والشلال الثاني إلى تحسن كبير في التعريف والتعرف بأصحاب تلك الثقافة وبخاصة أعمال نورديستروم 1972 ووليامز 1986. ولذلك سعى بعض الباحثين بناءً على ما توفر من معرفة جديدة تغيير تلك الأحرف.

إقترح B.G Trigger عام 1965 أن يطلق عليها ثقافات النوبيين المبكرين، واقترح آدمز عام 1977 إطلاق اسم الأفق النوبي Horizon Nubian. وأوضح آدمز أنه فضل استخدام أفق للدلالة على ما يراه من تجانس تلك الثقافات، وأن أصحابها ليسوا أقواماً منفصلين كما رأى ريزنر. وقد استخدم مترجم كتاب وليامز مصطلح «ثقافة» بدلاً من أفق. ومن الواضح أن هذه المقترحات لم تتغلب على مصطلحات ريزنر القديمة التي ساد استخدامها بين الباحثين داخل وخارج السودان، وانتشرت في المؤلفات التاريخية وفي المناهج في كل مراحل التعليم العام والعالي. وكنت قد إقترحت في موضوعات سابقة مراجع محتويات تاريخ السودان القديم. وإقترحت تناوله في أربعة موضوعات رئيسة كالآتي:

- الموضوع الأول: يتناول الثقافات المبكرة قبل الألف الخامس قبل الميلاد
- الموضوع الثاني: يتناول الثقافات المبكرة قبل قيام مملكة تاستي في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد النيل (بما فيها المجموعة أ) والمناطق الواقعة شرق وغرب النيل.
- الموضوع الثالث: يتناول مملكة تاستي.
- الموضوع الرابع: يتناول مملكة كوش في كرمة ونبته ومروي.

وقد إقترحت استخدام « قبل قسطل » بدلاً من «المجموعة أ». فقد كانت قسطل عاصمة مملكة تاستي التي أسستها هذه المجموعة. وفضلت استخدام مصطلح «ما قبل قسطل» عن مصطلح «ما قبل مملكة تاستي» لأن اسم تاستي إلى جانب دلالاته على أول مملكة سودانية قديمة يدل أيضاً على الإقليم الجنوبي لمصر القديمة الذي يمتد حتى أسوان. فاستخدام مصطلح «قبل مملكة تاستي» يؤدي إلى دخول منطقة شمال الشلال الأول وهي منطقة خارج حدود السودان القديم. وقد عرفت حضارة «ما قبل قسطل» على النيل بين منطقتي أسوان شمالاً وبطن الحجر جنوب الشلال الثاني جنوباً. ويرى الباحثون أنها ظهرت أولاً في بدلية الألف الرابع قبل الميلاد في كباتية جنوب وخور بهان في منطقة الشلال الأول، ثم إمتدت جنوباً

نحو منتصف الألف الرابع قبل الميلاد إلى منطقة دكا/سيالة عند مصب وادي العلاقي، ثم امتدت جنوباً إلى منطقة الشلال الثاني. ويؤرخ لها بين عامي 3800 - 3200 أو 3900 - 3300 ق م (William, 2011, p 8, Lange, 2003, p 193; Roy; p105 2000 Gatto; 122 p, 2003) وقد ورث أصحاب حضارة «ما قبل قسطل» ثقافة أركان في منطقة الشلال الثاني. وتعتبر ثقافة أركان تطوراً ثقافياً إقليمياً ينتمي إلى مجموعة ثقافية واسعة في وسط حوض النيل. فقد عاصرت ثقافة أركان في فترتها النهائية ما قبل قسطل المبكرة وتم التواصل بينهما خلال النصف الأول من الألف الرابع الميلادي. ونتج عن ذلك التواصل الشبه والتماثل بين الثقافتين واتحادهما. (Lange, 2006, p 109; Nordstrom and Lange; 299 p, 300, Gatto; 2002, p 16, 17); يلاحظ الإنتشار الواسع لحضارة «ما قبل قسطل» حتى أن بعض الباحثين يرى أن أصحابها استقروا في كل مناطق شمال السودان. فقد إتضح الإنتشار الواسع لبعض المواد الحجرية والعادات الجنائزية لأصحابها في مناطق واسعة في السودان كما في مناطق دنقلة والشهناج وشندي وشقدود. وأكثر المناطق صلة بأصحاب ما قبل قسطل هي منطقتا كارات وما قبل كرمة. كما يوجد شبه بين بعض المواد الحجرية tool lithic micro index في وادي الملك وترقس إلى الشرق منه إلى زمن ما قبل قسطل. (Rampersad, 2002, p 302, 303, 310, 308, 314, 37-336, 417, 458) وتمثل منطقة الخرطوم محوراً مهماً في علاقات ما قبل قسطل بالثقافات المعاصرة لهم. وتأتي هذه العلاقات القوية - كما تقول راميرساد - رغم إشكالية معاصرة العصر الحجري الحديث في الخرطوم لقيام ما قبل قسطل. وتتساءل راميرساد هل يمكن إفتراض بقاء الخرطوم حجري حديث حتى قيام ما قبل قسطل؟ (Rampersad, 2002, p 421) ويبدو أن إنتشار ثقافة منطقة الخرطوم الواسع على النيل وفي المناطق الواقعة شرق وغرب النيل قد أدى إلى تعزيز صلاتها ب «ما قبل قسطل». ففخار الخرطوم إنتشر في عصري الخرطوم المبكرة والعصر الحجري الحديث إنتشاراً واسعاً على النيل بين الشلال الثاني شمالاً حتى جنوب الخرطوم. وقد كانت العلاقات قوية بين «ما قبل قسطل» و«ثقافة كبري أم درمان»، وترى راميرساد أنه إلى أن يتم إكتشاف جثامين لأصحاب «ثقافة كبري أم درمان» يظل السؤال مطروحاً عن ما إذا سكان منطقة أم درمان ينتمون إلى «ما قبل قسطل» أو أنهم تبنوا ثقافة «ما قبل قسطل» عن طريق النشاط التجاري؟ كما ترى راميرساد أنه ربما تدخل أصحاب حضارة «ما قبل قسطل» بطريق مباشر أو غير مباشر مع سكان الكدرو ومعاصريهم في إقليم الخرطوم ومناطق الشلال السادس. (Rampersad, 2002, p 327, 330, 322)

### ما قبل قسطل في وادي العلاقي والقاش ونهر عطبرة :

تناولت الباحثة راميرساد علاقة حضارة ما قبل قسطل بالثقافات المجاورة لها على النيل وفي المناطق المجاورة للنيل شرقاً وغرباً على قدر من التفصيل. (Rampersad, 2002, p 275 - 435) فقد إمتدت علاقات أصحاب «ما قبل قسطل» مع أصحاب الثقافات المبكرة في المناطق الواقعة شرق النيل ما بين منطقة البطانة ونهر عطبرة وخور القاش جنوباً والممتدة حتى مناطق وادي العلاقي شمالاً. (Rampersad, 2002, p 295, 302, 310-11, 339, 395, 417, 421) وكان سكان النيل جنوب الشلال الأول يرتادون مناطق وادي العلاقي من أجل الجمع والرعي والصيد والمعادن حيث تتوفر المواد الخام مثل الذهب. وقد ساهمت مجموعة رعوية من منطقة العتباي في تكوين أصحاب حضارة ما قبل قسطل. (Gatto, 2002, p 16) فأصبحت المنطقة الواقعة شرق النيل جزءاً من مكون حضارة «ما قبل قسطل». (Gatto, 2006, p 224 a 2006, Gatto; 2012, p 44)

وقد تم الكشف عن مستوطنات قليلة - لم تُنشر بعد كما ذكرت جتو - في منطقة مصب وادي العلاقي (في دكا) حيث إتضح وجود 15 جبانة من 35 جبانة تنتمي إلى «ما قبل قسطل» في فترتها المبكرة. وبما أن معظم مقابر «ما قبل قسطل» في فترتها المبكرة غير جيدة الحفظ مثل المقبرة 73 حيث وجدت الجثامين ملقاة على الرمال، فيبدو معقولا وجود المزيد من مقابر ترجع إلى ثقافة سابقة لظهور ثقافة «ما قبل قسطل». (Gatto, 2006b, p224; Gatto, 2006a, p30)

كما إتضح الإتشار الواسع لبعض المواد الحجرية والعادات الجنائزية لأصحاب حضارة «ما قبل قسطل» في مناطق البطانة ونهر عطبرة ووادي القاش. وتبدو مجموعة القاش أقل صلة ب«ما قبل قسطل»، ويبدو أن الجزء الشرقي من البطانة كان يمثل الحد الشرقي لعلاقات «ما قبل قسطل». وقد تناولت ذلك رامبرسد في عدد من المواضع في بحثها. (Rampersad, 1979-295, 302, 303, 308-11, 314, 336-39, 417, 421, 458)

### «ما قبل قسطل» في مناطق غرب النيل:

يرى ماثياس لانج (Lange, 2003, p122) أن نتائج الدراسات السابقة إلى عهد قريب كانت ترى أنه ليس هنالك وجود لآثار «ما قبل قسطل» بعيدا عن النيل باستثناء بعض الأدوات الفخارية وبعض الخرز من العقيق الأخضر التي وجدت عام 1935 في valley Grassy في شمال دارفور بالقرب من الحدود السودانية المصرية الليبية وفي بئر صحار في حدود مصر الحالية شمال شرق valley Grassy. ويوضح ماثيو لانج (Lange, 2003, p122) أنه يبدو من خلال نتائج الدراسات الجديدة أن حضارة «ما قبل قسطل» كانت تضم مساحات واسعة ليس على النيل فقط بل كذلك في الصحراء ناحية الجنوب الغربي. وأوضحت ماريو جتو (Gatto, 2006, p62) أن بداية تسعينات القرن الماضي شهدت سلسلة من الأبحاث الجديدة لحضارة «ما قبل قسطل». وفي السنوات الأخيرة أتت مادة ثقافية جديدة لحضارة «ما قبل قسطل» من الأقاليم المجاورة للنوبة السفلى وبصورة خاصة من الصحراء الغربية. وقد شهدت المناطق الواقعة إلى الغرب من أسوان مثل نباتا بلابا وبئر كسيبا بداية الجفاف المبكر الذي ضرب المنطقة في الألف الخامس قبل الميلاد وأدى إلى تحركات سكانية واسعة في اتجاهين أحدهما هجرات كبرى توجهت شرقاً نحو النيل. (Williams, 2006, p185; Gatto, 2009, p24) واتجهت تحركات أخرى نحو الجوب حيث كانت الأوضاع المناخية لا تزال رطبة. (Anselin, 2009, p21-22; Yletyinen, 2009, p44. ويرى بعض المؤرخين أن التحركات التي إتجهت شرقاً أدت إلى تواصل ثقافات مناطق النيل في مصر العليا وشمال السودان بثقافات المناطق الواقعة غرب النيل. ونتج عن تلك التحركات تطور الثقافات المبكرة في تلك المناطق. (Smith, 1935, p325, 330) وقد يبدو معقولاً أن تكون بعض تلك التحركات التي أتت من مناطق الجفاف المبكر في غرب النيل قد استقرت في منطقة ما بين الشلالين الأول والثاني في الألف الخامس قبل الميلاد ونقلت معها صناعاتها الفخارية وأدت إلى تطور الثقافة التي اكتشف آثارها ريزنر في منطقة الشلال الأول وأطلق عليها المجموعة الثقافية (أ). وقد تطورت المستوطنات البشرية في بعض مناطق غرب النيل مقابل منطقة ما بين الشلال الأول ودنقلة تطوراً مبكراً منذ فترة ما قبل العصر الحجري الحديث (Epipalaeolithic) بين الألفين التاسع والسابع قبل الميلاد كما في بئر كسيبا ونباتا بلابا. (Jesse, 2020, p254; Rampersad, 1979, p370, 383) فالمنطقة الواقعة على الحدود

السودانية المصرية الحالية بين النيل والحدود الليبية لعبت دوراً كبيراً في تطور الثقافات المبكرة في المنطقة وقيام الحضارة على وادي النيل. وإتضح في الأبحاث اللاحقة أن قبور «ما قبل قسطل» على النيل تحتوي على عظام بقر وغنم وضان مستأنس مما يوضح إرتباط أصحاب تلك الحضارة بمناطق المراعي في غرب النيل والامتداد غرباً حتى مناطق الجلف الكبير على الحدود الليبية المصرية ووادي هور ومنطقة إيندي على الحدود السودانية التشادية. (Ross, 2013, Rampersad p, 51, 437 P) وقد كانت «ما قبل قسطل» تضم مساحات واسعة في الصحراء ناحية الجنوب الغربي حيث تتوفر المراعي الجيدة كما في مناطق الجلف الكبير ونبتا بلايا وبئر كسيبة وبئر طرفاوي كما يمكن وجود مستوطنات ما قبل قسطل في منطقة لقية وواحة سليمة التي تمثل منطقة وسطى بين النيل والصحراء. ويبدو المزيد من البحث في منطقة لقية مهما وضروريا لتوفير المزيد من المادة الأثرية. (Jesse, 2020, Lange, p258, 2003, p 122) ويشير ذلك إلى التواصل المبكر بين أصحاب حضارة ما قبل قسطل وتلك المناطق. وقد تم الكشف مؤخراً في وادي بخت في منطقة الجلف الكبير على مواد العصر الحجري الحديث المتأخر تضمنت نوعا جديدا من الزينة في الفخار تاريخه  $180 \pm 6930$  ق ح (نحو بداية الألف الخامس قبل الميلاد) هنا النوع من الفخار نظير لفخار ما قبل قسطل على النيل وسابق

له بنحو ألف سنة. Rampersad, p, 377

### «ما قبل قسطل» في منطقة لقية :

تقع منطقة لقية الكبرى بين منطقة سليمة الكبرى شمالاً وواحة النطرون ووادي هور جنوباً. وتتكون المنطقة من وادي لقية وواحة لقية أربعين ولقية عمران ووادي شاو ووادي سهل ووادي حريق. وتتميز هذه المنطقة بوفرة المياه في البحيرات مثل بحيرة لقية والأودية. (Jesse, 2004, Lange, p123, 2006/2007, Kuper, Kroplin and Schuck, Werner, 1989, p 422) وبناءً على ما تم التعرف عليه من آثار في منطقة لقية يرجح لانج أن مواقع ثقافة ما قبل قسطل في منطقة لقية ترجع إلى فترة مستوطنات منتصف عصر الهولوسين. (Jesse, 2020, Lange, p 258, 2006, p110) الذي يؤرخ له بين الألفين الخامس والثالث قبل الميلاد (Yletyinen, 2006/07, Lange, p 24, 243 p) أزهرى مصطفى صادق، ص 32) وتمثل لقية التي تقع غرب منطقة الشلال الثالث محوراً مهماً من محاور تطور الثقافات السودانية المبكرة، وقد تم التعرف على آثارها في ثلاثينات القرن الماضي عندما عثرت بعثة كندي شاو في وادي يقع غرب المنطقة على بعض الآثار القديمة، وقد عرف هذا الوادي فيما بعد باسمه، وادي شاو. وفي عام 1983-1983 قامت جامعة كولن بمسح أثاري في وادي شاو ووادي سهل المجاور له حيث تم الكشف عن 150 موقعاً أثرياً. ثم توالى عمليات الكشوف والتنقيب وبدأت الأبحاث تنشر عن المنطقة مثل أبحاث W. schuck و R. Lange Mathias الذي كان بحثه لشهادة الدكتوراه في جامعة كولن عن «فخار مواقع منطقة لقية في الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد» وتم العثور على آثار المرحلة المبكرة من وجود الانسان في منطقة لقية في مخلفات المقابر التي يرجع تاريخها إلى الألف الثامن قبل الميلاد. وأول توثيق أثاري للمستوطنات في المنطقة يعود إلى نحو 5700 ق م. وظهر في منطقة وادي شاو وسهل نوع فخار جديد أطلق عليه اسم «فخار الأفق النوبي المبكر في منطقة لقية» يتزامن مع ثقافة أبكان على النيل ومع النيولثك المتأخر في نبتا بلايا وبئر كسيبا (Lange, 2006, p 107, 110)

ووجدت مواقع كثيرة في منطقة لقية تحتوي على كميات كبيرة من فخار «ما قبل قسطل». وأكبر منطقة وجد فيها فخار «ما قبل قسطل» في منطقة لقية هي المنطقة الوسطى من وادي سهل على بعد 60 كلم شمال غرب واحة لقية، فقد عثر على مساحة 80 متر مربع بقايا نار ومجموعة من العظام وقطع فخار تواريخها 3800 ق م ± 200. وفي مكان آخر في الوادي تم العثور في مساحة 104 متر مربع على أماكن مواقع نار متعددة تواريخها 3100-3200 ق م ووجدت 341 قطع فخار أكبر من واحد سنتمتر كونت نحو 58 وعاء، (Lange, 2003, p 107 - 108) فتاريخ آثار «ما قبل قسطل» في منطقة لقية يعود إلى زمن سابق لظهورها على النيل. ويؤيد ذلك أيضاً التواريخ التي تحصل عليها لانج من مواقع وادي سهل. وبينت نتائج فحوص كربون 14 في الجدول رقم 1 (Lange, 2003, p 124) عن تواريخ مواقع وادي شاو علاقات منطقة لقية المبكرة بأصحاب حضارة ما قبل قسطل. يحتوي الجدول على 19 موقع أتت تواريخ فحصها بين عامي 4168 و 2960 ق م. ثمانية من هذه المواقع تعود إلى الفترة المبكرة بين عامي 4168 و 3317 ق م. ونشير هنا إلى الأربعة مواقع المبكرة التي يمكن ربطها بنشأة حضارة «ما قبل قسطل» جاءت كالآتي:

1. موقع وادي سهل 4- 38/82 تاريخه 4168 ق م ± 802
2. موقع وادي سهل 1- 38/82 تاريخه 3800 ق م ± 200
3. موقع وادي سهل 4- 38/82 تاريخه 3794 ق م ± 148
4. موقع وادي شاو 41- 38/82 تاريخه 3622 ق م ± 70
5. وفي مكان آخر (Lange 2006/07 p 249) في الشكل رقم 4 عن مراحل الاستيطان الرئيسية في منطقة لقية تظهر مستوطنات أصحاب حضارة ما قبل قسطل في لقية قبل النصف الثاني من الألف الرابع ق م وبناءً على هذه التواريخ فإن آثار حضارة «ما قبل قسطل» في منطقة لقية تشير إلى أنها إما أقدم من آثارها على النيل أو معاصرة لها. فإذا أخذنا بالحد الأعلى لتاريخ موقع سهل 4-38/42 نجده 4168+802=4900 ق م مما يجعله أقدم بكثير من التاريخ المحدد لظهور «ما قبل قسطل» على النيل (3900 أو 3800 ق م) وإذا أخذنا بالحد الأعلى للموقعين: سهل 1/38/82 وسهل 4-38/42 نجدهما 3800+200=4000 ق م و 3794+148=3942 ق م نجد تاريخهما أسبق بقليل من بداية تاريخ ظهور «ما قبل قسطل» على النيل. أما بقية التواريخ فإن حدها الأدنى يعاصر بداية ظهور حضارة «ما قبل قسطل» على النيل في النصف الأول من الألف الرابع قبل الميلاد.

حضارة «ما قبل قسطل» كما يوضح لانج قد تطورت في وقت مبكر قبل بداية الألف الرابع قبل الميلاد في منطقة لقية قبل ظهورها على النيل ثم انتقلت بعد ذلك إلى النيل. وكانت لقية جزءاً من الاستيطان الإقليمي في المنطقة، وتمثل الحد الجنوبي لهذه الثقافة (Lange, 2003, p 118; Lange, 2006a, p 107, 110)

**اللغة السودانية الشرقية :**

ويبدو مقبولاً أن يكون المكون الرئيس لسكان «ما قبل قسطل» قد أتى من غرب النيل من مناطق نبتا بلايا والمناطق المجاورة لها وهي المناطق التي نشأت فيها اللغة السودانية الشرقية Sudanic East-Proto كما يرجح كلود ريلي. وقد إنتشر متحدثو هذه اللغة مع بداية الجفاف الذي ضرب المنطقة في الألف السادس قبل

الميلاد جنوباً في مناطق لقية ووادي هور ., (Ehert, 56 p, Rilly, 2009)  
فقد شهدت منطقة لقية التي كانت تمثل الحد الجنوبي لحضارة «ما قبل قسطل» إنتشار متحدثو  
اللغة السودانية الشرقية Sudanic East-Proto ويعني ذلك إنتشار اللغة السودانية الشرقية على النيل بين  
الشلالين الأول والثاني في القرن الرابع قبل الميلاد إبان فترة حضارة «ما قبل قسطل».

## المصادر والمراجع:

- (1) آدمز، وليام ي، 2020 النوبة رواق افريقيا، ترجمة محجوب التجاني محجوب، الخرطوم: دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع
- (2) أزهرى مصطفى صادق، 2013 «بيئات عصر الهولوسين والتغير الثقافي في نهر النيل الأوسط - السودان 10000 - 3000 ق م» في عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون (تحرير) الإنسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الإكتشافات الأثرية، الرياض: مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية.
- (3) Adams, William Y. 1977, Nubia Corridor to Africa, London: Allen Lane Penguin Books Ltd
- (4) Anselin, Alain, 2009, Some Noted about an Early African pool of Cultures From Which emerged the Egyptian Civilization, in Karen Exell ed. Egypt in its African Context, Proceeding of the Conference Held at the Manchester Museum, University of Manshester. 2 -4 October, England: Archaeopress.
- (5) Ehret, Christopher, 2006 The Nilo-Saharan Background of Chadic-Studies in African Languages. Sol.research.edu
- (6) Emberling, Geoff and Williams, Bruce Beyer (eds.) 2020, The Oxford Handbook of Ancient Nubia, Oxford University Pres.
- (7) Gatto, Maria Carmela, (2000). "The Most Ancient Evidence of the A-Groups Cultures in Lower Nubia" Recent Research in North-eastern Africa,, Studies in Africa Archaeology 7, Poznzn Archaeology Museum
- (8) Gatto, Maria Carmela, 2002 "Ceramic Traditions and Cultural Territories: the Nubian Group in Prehistory" Sudan and Nubia, Bulletin no. 6, pp 8 - 19.
- (9) Gatto, Maria Carmela, 2006 a "The Early A-Group in Upper Lower Nubia, Upper Egypt and the Surrounding Deserts' in Chlodnický, M. et al (eds.) Archaeology of Early Northern Eastern, studies in African Archaeology, 9, Poznan Archaeology Museum, 224 - 234.
- (10) Gatto. Maria Carmela, 2006 b "The Nubian A-Group: A Reassessment" ARCHEONIL no. 16-December, p 61 - 76.
- (11) Gatto, Maria Carmela, 2009 "The Nubian Pastoral Culture as Link Between Egypt and Africa: A view from the Archaeological Record" in Exell, Kurin, Egypt in its African Context. Proceeding of the Conference Held at the Manchester Museum, University of Manchester 2 - 4 October.
- (12) Gatto, Maria Carmela 2012 The Holocene Prehistory of the Nubian Eastern De-

sert, in Hans Bernard and Kim Duistermaat eds. The History of the People of the Eastern Desert, Los Angeles. University of California, pp 43 - 60.

(13) Gatto, Carmela Maria. 2020 The A-Group and 4th Millennium Nubia, in Emberling, Geoff and Williams, Bruce Beyer (eds.) The Oxford Handbook of Ancient Nubia, 125 – 142.

(14) Jesse, Friedrike, et. al. 2004 "On the Periphery of Kerma- the Handessi Horizon in Wadi Hariq, Northwestern Sudan" Journal of African Archaeology, Vol. 2 Issue 2, pages 123 – 164.

(15) Jesse, Friedrike 2020 From Hunters to Herders: the Libyan Desert in prehistoric times. In Emberling, Geoff and Williams, Bruce Beyer (eds.) The Oxford Handbook of Ancient Nubia, 251 – 270.

(16) Kuper, Rudolf and Krobelin, Stefan, 2006 "Climate Controlled Holocene Occupation in the Sahara: Motor of African Evolution" Science, Vol. 13, 11 August, 803-807. [www.sciencemag.org](http://www.sciencemag.org)

(17) Lange, M. 1998."Wadi Shaw 82/52: A Predynastic Settlement Site in the Western Desert and the Relations to the Nile Valley". Nubian Studies. Proceeding of the Ninth Conference of the International Society of Nubian Studies. August 21-26. Boston Massachusetts. 315-324.

(18) Lange, Mathias 2003, A-Group settlement Sites from the Lagiya Region (Eastern Sahara, Northwest Sudan), Studies in African Archaeology, 8, Posnan Archaeological Museum, 106-127.

(19) Lange, Mathias 2006a "The Archaeology of the Laqiya Region (NW-Sudan): Ceramic, Chronology and Culture" in Caniva, I. and A. Roccati (eds.) Acta Nubica, Proceedings of the 10th International Nubian Studies, Rome2006, proceedings of the X International Conference of Nubian Studies, Rome: 9 – 14 September 2002, pp 107 – 115.

(20) Lange, Mathias (2006-2007 "Development of Pottery Production in the Laqiya-Region: Eastern Sahara" CRIPEL, 26). 243 – 251.

(21) Lange, Mathias . 2007. "Development of Pottery Production in the Laqiya-Region: Eastern Sahara" CRIPEL, 26 (2006-2007). 243 – 251.

(22) Lange, Mathias and Nordstrom, H. 2007 Abkan connections. The relationship between the Abkan culture in the Nile valley and Early Nubian Sites from the Laqiya

Region (Eastern Sahara, Northwest-Sudan). Archaeological of Early Northern Africa Studies in African Archaeology 9. Poznan Archaeological Museum. 297-312.

(23) Lanna, Simone and Gatto Maria Carmela, 2006, "Prehistoric Human Occupation in the Nubian Eastern Desert: an Overview" PAM supplement Series 2.21 p319 – 328.

(24) Rampersad, Sabrina Roma, 1999, the Origin and Relationships of the Nubian A-Group. A PhD thesis, dept. of near and Middle Eastern Civilizations, University of Toronto. Rilly, Claude and Alex De Voogt, the Meroitic Language and Writing System, Cambridge University Press 2012. P 178 – 179.

(25) Rilly, Claude and De Voogt, Alex, 2012 the Meroitic Language and Writing System, Cambridge University Press.

(26) Claude Rilly, 2009, From the Yellow Nile to the Blue Nile: the Quest for water and the Diffusion of Northern Eastern Sudanic Languages from the 4th to the 1st Millennia BCE", 3rd European Conference on African Studies, Millennia BCE" 3rd European Conference on African Studies, Panel 142, Leipzig. 4 to 7 June.

(27) Ross, Larry, 2013, Nubia and Egypt 10 000 BC to 400 AD, New York: The Ewin Mellen Press.

(28) Salvatori, Sandro and Usay, Donatella, 2006-2007, The Sudanese Neolithic Revisited, CRIPEL, 26.

(29) Schuck, Werner, 1989 "From Lake to Well, 5000 Years of Settlements in Wadi Shaw Northern Sudan" in Lech Kerzyzaniac and Michal Kobusiewicz eds. Late Prehistorin of the Nile Basin and the Sahara, Poland: Posnan Archaeological Museum.

(30) Smith, Stewart Tyson, 2018 "Gift of the Nile, the Origins of Egyptian Civilization and Interactions Within Northeast Africa" in Bacs, Across the Mediterranean- Along the Nile, Budapest: Museum of Fine Arts. pp 325-345

(31) Williams. Bruce 2006, "A-Group society in the Context of Northeast Africa" Studies in African Archaeology 9. Poznan Archaeological Museum, 177 - 194.

(32) William, Bruce 2011 "Relations between Egypt and Nubia During Naqada Period" in Lee (ed.).

(33) Yletyinen, Johanna, 2009 "Holocene Climate Variability and Cultural Changes at River Nile and its Saharan Surroundings" Examinsarabite Grundniva Geographi, 15, hp

(34) [١٢/٨/٢٦ ص] ب احمد الياس: العنوان

(35) Desert Western the on and Nile the on (Group-A) Qustul-pre of Civilization